خطبة صلاة الجمعة 19/ 7/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(مبارك للناجحين)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [النجم: 39 – 41]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 18 – 21].

عنوان خطبة اليوم: **مبارك للناجحين**

أيها الإخوة:

بالأمس ظهرت نتائج الثانوية العامة، واليوم ظهرت نتائج الإعدادية، وقبل أسبوع أو اثنين كانت تظهر نتائج المواد الجامعية متتابعة، وقبلها ظهرت نتائج الصفوف الانتقالية، فسُرَّ من ابيضت صحائفه وحَزِن من اسودت، فرح من وجد نتيجة جهده وتعبه، وتألم من وجد نتيجة تفريطه ولهوه، ونحن في هذه الخطبة نبارك للناجحين والمتفوقين، ونشد على أيد المقصرين ليفيدوا من التجربة فيعودوا للسبق بعزم وإصرار، فليس العيب أن تسقط ولكن العيب أن تبقى أرضاً، وليس العيب أن تخطيء ولكن العيب ألا تتعلم من خطئك.

أيها الإخوة:

في صدور نتائج الامتحانات عِبرٌ، أحببت أن أعرض ثنتين منها وأختم بنصائح سريعة للطلاب:

العبرة الأولى: لكل مجتهد نصيب:

هذا الأمر يبدو واضحاً في الدنيا، ولكنه سيظهر واضحاً أكثر في الآخرة.

من أمضى عامه عاكفاً على دراسته، مشغولاً بعلمه وعمله، باذلاً وقته لمنهاجه؛ رأيته عند صدور النتائج فرحاً مسروراً، يقول هاؤم اقرؤوا كتابيه.

بينما من أتبع نفسه هواها في بحر العام، وانشغل بلذائذه والأوهام، وضيّع أوقاته في اللهو والمنام؛ تراه عند صدور النتائج كئيباً حزيناً يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، عاضاً أصابع الندم، باكياً على تفريطه في زمن.

إذا كان هذا الحال في نتائج الدنيا فكيف الحال عند نتائج الآخرة ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: 18 – 34]

لئن كان الراسب في امتحان الدنيا يستطيع التدارك في العام القادم؛ فإن امتحانَ الآخرة أخيرٌ ليس بعده تدارك، فليشد العزم من نسي وليرجع إلى ربه من ابتعد.

العبرة الثانية: الامتحان صفة عقلاء الدنيا:

فلا يتصور عاقلٌ أن يُمنح طالب رتبةً علمية أو عملية جديدة إلا بعد امتحان واختبار وتمحيص، ولا أن يُرقّى موظَّف إلَّا بعد اختبار، ولا أن يجاز طبيب أو مهندس أو محامي إلَّا بعد اختبار.

وتخيَّل لو أُلغيت الامتحانات من الدُّنيا، ما الذي سيحدث؟! سيستوي المحسن والمسيء، وسينال من أمضى عامه في اللَّهو واللَّعب الدَّرجة نفسها التي نالها من أمضى عامه في الجِدِّ والاجتهاد، وهذا ما لا يرضاه أحد ولا يقبله عاقل؛ لأن فيه من الظلم ما فيه.

ومن أجل هذا أيها الإخوة يمتحن الله تعالى إيمانَ عباده بالفقر حيناً وبالغنى حيناً آخر، بالصحة حينا وبالمرض حيناً آخر، بالنصر حيناً وبالهزيمة حيناً آخر... ليكون الامتحان عادلاً وماراً على جميع أسئلة المنهاج المقرر.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155]، يقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 142]، فلا يقولن رجلٌ لماذا يمتحننا الله هذه الامتحانات! ولا يتبرمن امرؤٌ من الامتحان، بل ليري كلٌّ منا ربه من نفسه خيراً، وليستعن بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، واعلموا أنه كلما صعب الامتحان علت رتبة الناجحين فيه، ولذلك كانت أصعب الامتحانات للأنبياء ثمَّ الأمثل فالأمثل؛ لأنَّهم بصبرهم العالي وبانضباطهم الدقيق بشرع الله صاروا أعلى النَّاس رتبةً في الدُّنيا والآخرة.

روى الترمذي عَنْ سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**».

جاء في كتاب "الفوائد": (الطَّريق دربٌ تعِب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النَّار الخليل، وأُضْجع للذَّبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمنٍ بخسٍ ولبث في السِّجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السَّيد الحصور يحيى، وقاسى الضُّرَّ أيوب... وعالج الفقر وأنواع الأذى محمَّد صلى الله عليه وسلم).

فمهما صعُب الامتحان والابتلاء وكنت فيه منضبطاً بأمر الله ملتزماً شرعه فأعدَّ نفسك للرُّتب العالية والمنازل السَّنية، فبعد كلِّ محنةٍ مِنحة وبعد كلِّ شِدَّةٍ شَدَّة وبعد كلِّ ابتلاءٍ عطاء.

نصائح سريعة للطلاب:

1- العلم لا ينتهي، والشهادة ليست هدفَك الأخير من دراستك، بل هي مفتاح دخولك إلى مدينة العلم، والعلم والصبر توأمان.

قَدْ ضَلَّ مَنْ حَسِبَ الشّهادةَ غايةً إنّ الشّهادةَ مقبضُ المفتاحِ

فإذا نجحت في مرحلتك فلا تتوقف عن التحصيل، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: (مع المحبرة إلى المقبرة).

2- العلم ثلاثة: علم بالله، وعلم بأمر الله، وعلم بخلق الله.

والعلم بالله يسمى "علمَ الحقيقة" وهو أن تتعلم كيف تذكر الله فلا تنساه، وتشكره فلا تكفره، وتطيعه فلا تعصيه، وإلاّ فمن ربح الكونَ كلَّه وخَسِرَ ربه ماذا استفاد؟.

أما العلم بأمر الله فهو ما يسمى "علم الشريعة"، وهو أن تعرف أوامر الله ونواهيه، أن تعرف حلاله وحرامه، أن تعرف قرآنه وسنةَ نبيّه صلى الله عليه وسلم، فإذا غاب الشرع عن العلم أَفسَد بدل أن يصلح، وخَرَّب بدل أن يُعَمِّر.

أما العلم بخلق الله فهو ما يسمى: "العلوم الكونية" أو "العلوم الطبيعية".

يقول "جود" وهو مؤرخ وباحث انكليزي معاصر: إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرةَ بالآلهة، ولكننا نستعملها بعقل الأطفال والوحوش.

إن العلم يعلمك كيف تصنع الآلات والمحركات، لكن الدين هو الذي يعلمك كيف تستعملها فيما يُسعدك ويسعد الآخرين.

3- العلم الذي يجعلك تتيه على الآخرين ما هو إلا نوع من الغرور.

4- للناجحين في الثانوية العامة أقول راعِ عند اختيارك اختصاصك الجامعي رغبتَك وقدرتَك وفرصتَك، فرغبتك محترمة في الاختيار إذ ينتج المرء في الاختصاص الذي يرغب به ويحب أكثر بكثير مما ينتج فيما لا يرغب ولا يحب.

غير أن الرغبة تقيدها القدرة، فبعض الاختصاصات تحتاج إلى قدرة بدنية جيدة فإن لم تملكها فابحث عن اختصاص آخر، وبعض الاختصاصات تحتاج إلى قدرة مالية عند التخرج لتبدأ العمل بها، فإن لم تملك تلك القدرة المالية أو قريباً منها فابحث عن اختصاص آخر، وبعض الاختصاصات تحتاج إلى ذاكرة قوية وأخرى إلى مهارات فنية عالية وثالثة إلى مهارات بيئية فاختر من الاختصاصات ما ترغب به ويتوافق مع قدرتك من جهة، ثم ما أتيحت لك فرصته من جهة أخرى، فربما رغبت أمراً وتملك

قدراته، ولكن لم يساعدك مجموعك على التسجيل به، فلا تقف عنده حزيناً كئيباً، ولكن ابحث عن غيره مما يجمع بين الرغبة والقدرة والفرصة.

ويمكنك أن تراجع خطبة "كيف أختار تخصصي الجامعي" من سلسلة هموم الشباب، ومحاضرة اختيار التخصص الجامعي على النت.

أيها الإخوة:

تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرتَه تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وهو الصاحب في الوحدة، والمحَدِّث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وبارك للناجحين علمهم وعملهم، واجبر تقصير من قصر.

والحمد لله رب العالمين